

أولاد الناس بمجتمع عصر سلاطين المماليك

الملف

Respectable People In The Society of Mamluk Sultans Era

د. نهلة أنيس محمد مصطفى

استاذ التاريخ الإسلامي المساعد
كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر
القاهرة - جمهورية مصر العربية

dr_na_mostfa@hotmail.com

■ الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

نهلة أنيس محمد مصطفى ، أولاد الناس في مجتمع عصر
سلاطين المماليك. - دورية كان التاريخية. - العدد الخامس ؛
سبتمبر ٢٠٠٩، ص ٩٣ - ١٠٣. (www.historicalkan.co.nr)

أولاد الناس في الحياة السياسية والإدارية

منفصلة عن سائر السكان في البلاد ، الأمر الذي ساعد على قيام مجتمع مملوكي يقوم على النظام الطبقي ، وضحت فيه معالم وسمات كل طبقة على حده ، ومن هنا شغل كثير من المؤرخين القدامى منهم والمحدثين بدراسة المجتمع المصري في العصر المماليكي للتعرف على هذه الطبقات التي شكلت البناء الاجتماعي خلال تلك الفترة .

وما يعنينا في سياق هذه الدراسة هم المماليك من السلاطين والأمراء بشكل عام وأولادهم بشكل خاص ، فقد اصطلح على تسمية أبناء المماليك بلقب " أولاد الناس " ، وقد اشترك في هذا اللقب أبناء السلاطين وأبناء الأمراء ، غير أن أبناء السلاطين تميزوا عن الآخرين بلقب الأسياد وأولاد الناس هؤلاء لم يسهم الرق وعاشوا وتربوا في بيوت الإمارة والنعمة لا على طريقة المماليك في الطباق والتربية الحربية الخشنة ، وكوّنوا بذاتهم فئة من فئات طبقة المماليك كان لها دورها في كثير من مناحي حياة المجتمع المملوكي بكافة جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية .

قسم المؤرخون الأمراء المماليك إلى طبقات ذات مراتب عسكرية وكان لكل مرتبة وظيفة يقوم صاحبها بالاطلاع بمهامها ، وله إقطاع ينعم به السلطان عليه حتى يستطيع القيام بهذه المهام .

فالتبقة الأولى من الأمراء : أمراء المئين ومقدمي الألوف ويقوم في خدمتهم مئة فارس يكونون في خدمة جيش السلطان إذا ما دق نكير الحرب . ويبلغ عدد الأمراء المئين في الجيش المملوكي وفقاً لها جاء في الروك الناصري أربعة وعشرون مقدماً غير أن هذا العدد نقص في عهد السلطان الظاهر بقوق بسبب توفير بعض الإقطاعات ، فأصبح عدد المقدمين ما بين ثمانية عشر وعشرون مقدماً ، ويمثل هؤلاء في الوظائف السياسية العليا في السلطنة المملوكية .

والطبقة الثانية من الأمراء: هم أمراء الطبلخانة ويقوم في خدمتهم أربعين فارساً يكونون في خدمة جيش السلطان ، وربما زاد عددهم إلى خمسين أو سبعين أو ثمانين كل أمير حسب إقطاعه وذلك بشرط ألا يقل عدد فرسان أمير الطبلخانة عن أربعين فارساً وعدد أمراء الطبلخانة في السلطنة المملوكية ليس له حد معين ، وهم أصحاب الرتبة الثانية من أرباب الوظائف السلطانية .

أما الطبقة الثالثة من الأمراء: فهم أمراء العشرات ، وربما وجد بين هذه الطبقة من هم أمراء عشرين فارساً ، ولكنهم يعدون من جملة طبقة أمراء العشرات ، ولا عدد محدد لأمراء هذه الطبقة بل تزيد وتنقص حالها كحال طبقة الطبلخانة ، ومنها يكون أرباب الوظائف الصغيرة

والطبقة الرابعة من الأمراء المماليك: أمراء الخمسات وعدة كل أمير منهم خمسة ممالك يذهب بهم إلى جيش السلطان ، وأهم ما يشكل قوام هذه الطبقة هم الأمراء أولاد الأمراء " المندرجين بالوفاة رعاية لسلفهم وهم في الحقيقة كأكابر الأجناد" وأطلق المؤرخون للسلطنة المملوكية عليهم اسم طبقة أولاد الناس .

ومن الممكن القول أن هذه الطبقة من المماليك لم تظهر إلا بعد جيل على الأقل من قيام الدولة المملوكية ، حيث نلاحظ ذلك بوضوح في عهد الناصر محمد بن قلاوون ، وعهود ، أبائهم وأحفاده ، إنما لم يرتفع شأنهم إلا في عهد السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون بعد أن تخلص من خصمه الأميرين الكبيرين شخون العمري وصرغتمش عام ١٣٥٧/٥٧٥٩م . فأخذ في ترقية أولاد الناس إلى الرتب العالية ، لا محبة لهم بل كان يقول " هؤلاء مأمونوا العاقبة وهم في

تمتعت مصر والشام بين دول العصور الوسطى في الشرق والغرب بمكانة مرموقة خلال عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) بل يمكن القول أن المماليك شكلوا قوة عالمية عظمى ذات مكانة متفردة إذ تبوأ زعامة العالم الإسلامي سياسياً وثقافياً وحضارياً ، ويعود ذلك إلى أن مصر كانت تملك معطيات الزعامة التي تجعلها قوة سياسية وعسكرية يخشى جانبها ، ويمكن القول أن مصر تمتعت باحترام القوى السياسية المعاصرة لها والتي كانت تخطف ود سلاطين المماليك ، وذلك بسبب وجود الخلافة العباسية في القاهرة ، والكيان العسكري الكبير الذي شكلته قوة المماليك الحربية آنذاك .

ومع ما شكلته هذه الدولة من بناء سياسي كبير إلا أنها اشتملت على بناء اجتماعي متباين وطبقات شعب متعددة شغل السلطان المملوكي والأمراء المماليك الطبقة العليا فيها ثم تبعم بقية طبقات الشعب المصري ، وكان طبعاً أن يحتل هؤلاء المماليك أعلى وظائف الدولة ، أما حياتهم الاجتماعية فقد كانوا منعزلين نسبياً عن المجتمع الذي حكموه وظلوا لسنوات عديدة ومنذ نشأتهم لا يشاركون في الحياة الاجتماعية المصرية إلا من خلال المواقب السلطانية والأعياد الدينية والاحتفالات ، ومنذ عصر السلطان الظاهر بقوق بدأ المماليك ينزلون من طبقات القلعة ويسكنون القاهرة ويتزوجون من المصريات .

أما أبناء المماليك الذين ولدوا في مصر ولم يسهم الرق منذ عرفوا في مصطلح ذلك العصر باسم (أولاد الناس) وكانت مكانتهم الاجتماعية أدنى من الأمراء المماليك ، فهم فئة خرجت من قلب طبقة المماليك لتصبح فئة من فئات الشعب المصري في العصر المملوكي . ويرجع اهتمامي للبحث والتنقيب في أخبار هذه الفئة إلى أسباب عدة .

■ تبعث أخبار هؤلاء أولاد الناس في المصادر المملوكية وعدم التركيز على أحوالهم بل كانت أخبارهم شذرات بسيطة تضيء أحيانا الطريق في وسط الكم الهائل من الأخبار التي تتناول الأحداث السياسية .

■ عدم تركيز الدراسات التاريخية الحديثة على أولاد الناس بوصفهم فئة عاملة من فئات الشعب المصري ، وكانت الإشارة إليهم تأتي في سياق الحديث عن طبقة المماليك ، فقد ذكرت بعض لمحات بسيطة عن حياتهم في مؤلفات لأساتذة أفاضل قاموا بدراسة التاريخ الاجتماعي لمصر المملوكية .

■ تعرض فئة أولاد الناس في بعض الدراسات لكثير من العُبن الذي أصابهم وعرفوا بأنهم كانوا مترفين ينعمون بحياة هادئة وسعيدة وتربوا في حجور النساء (أو حجر السعادة) وأنهم لم يقدموا لمصر بمقدار ما أعطتهم ولم يشاركوا في الذود عنها وغير ذلك من الاتهامات التي قُذفوا بها وأصبحوا في موضع الاتهام سواء في بعض الكتابات العربية أو الأفرنجية .

أولاد الناس ومشاركتهم في

الحياة السياسية والإدارية

قد ظهرت دراسات كثيرة تناولت دراسة تاريخ الدولة المملوكية - ونحن لهم تع في ذلك- في كافة جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتناولوا المماليك من السلاطين والأمراء والأجناد من حيث نشأتهم وتكويناتهم العرقية وإقامتهم لسلطنتهم على أنقاض الدولة الأيوبية وكذلك بناء المجتمع المصري . وأهمية طبقة المماليك في تشكيل هذا المجتمع باعتبارهم قد عاشوا فيه كطبقة ممتازة

سنه في محاربة الأمير سنقر الأشقر الذي خرج عن طاعة المنصور قلاوون وأعلن نفسه سلطاناً بدمشق والأمير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلفت التركماني الأصل والذي ترقى في عدة مناصب ديوانية حتى وصل إلى الوزارة فأنعم عليه السلطان برفوق بإمرة مئة وتقدمه ألف .

(أ) الأسياد

ترقى العديد من أبناء السلاطين إلى رتبة أمير مئة ومقدم ألف وجلس البعض منهم في مرتبة أتاك العساكر وهي المرتبة العظيمة التي تعد أهم مراتب الجيش المملوكي .

في دولة السلطان الناصر محمد بن قلاوون قلد ابنه الأمير آنوك إمرة مئة وكان مقدماً عند أبيه عن سائر أخوته ، ولم يرقى أحد منهم إلى هذه المرتبة ، غير أن هذا الأمير لم ينعم بها وصل إليه ، ومرض ومات في عام ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م .

ومن أولاد الأسياد أبناء السلاطين ، الأمير إبراهيم بن المؤيد شيخ المحمودي ، بلغ هذا الأمير من الأهمية في دولة أبيه بمكان ، فقد جرده أبوه على رأس حملة إلى القبائل التركمانية في شمال الشام عام ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م ولم يعد إبراهيم إلى مصر إلا بعد أن أحرز نصراً مؤزرًا على هذه القبائل ، وضم إلى دولة المماليك بعض المناطق الجديدة وسك العملة باسم المؤيد شيخ .

وأعطى الأشرف برسباي ابنه المقام الجمالي يوسف إمرة مئة وتقدمه ألف وعلى قول أبي المحاسن أنه كان " أعظم مُقدمي الألوفا " وكان الجمالي يوسف ابن السلطان ينوب عن أبيه أثناء سفره في قلعة الجبل .

(ب) أولاد الأمراء

تميز العديد من أولاد الناس بترقيهم إلى رتبة إمرة مئة وتقدمه ألف في سلطنة المماليك ، ورعى بعض سلاطين المماليك أولاد الناس رعاية كبيرة ، وقربوهم إليهم سواء في دولة المماليك البحرية أو البرجية فظهر لنا جملة من أولاد الناس في عهد الناصر محمد بن قلاوون ، والناصر حسن بن محمد بن قلاوون والأشرف شعبان بن حسين ، وكذلك في عهد الظاهر برفوق ، والناصر فرج بن برفوق ، والظاهر ططر ، والظاهر جقمق وعد أبو المحاسن ترقية ططر لبعض أخصائه إلى الرتب العالية من حسن فطنته وقوة جناحه .

ثانياً: أمراء الطبليخانة

أ: الأسياد

ترقى بعض أولاد الناس من الأسياد إلى رتبة طبليخانة في جيش السلطنة المملوكية ، فمن جملة أولاد السلاطين ، تآمير السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعض أولاده إمرة طبليخانة منذ عام ٧٣١ هـ / ١٣٢١ م أمر السلطان إحصار ابنه أحمد من الكرك . حيث كان أخرج إليها ، وخلع عليه إمرة طبليخانة ، أمر معه ثلاثة أمراء عشرات دفعة واحدة وفي عام ٧٣٥-٧٣٦ هـ / ١٣٣٤-١٣٣٥ م أعاد السلطان الناصر محمد ولديه أبو بكر وإبراهيم إلى القاهرة من الكرك وأمرهما كل واحد إمرة طبليخانة ، ولم يسم أحد منهما بملك بل كان الناس يقولون "سيدي إبراهيم وسيدي أبا بكر على عادة الأسياد" .

ومن الجدير بالملاحظة أن أربعة من الأسياد أولاد الناصر محمد بن قلاوون تقلدوا منصب السلطنة ولم يرقوا إلى رتبة أمير مئة ومقدم ألف ، بل ترقوا فقط إلى رتبة طبليخانة وهم الأسياد المنصور أبو بكر والناصر أحمد والكامل شعبان والمظفر حاجي .

طي علمي ، وحيث وجهتهم إليه توجه ، وإن أحببت عزلهم أمكنني ذلك بسهولة وفيهم أيضاً رفق بالرعية

أولاد الناس من أرباب السيوف

في السلطنة المملوكية

من المعروف تاريخياً أن أرباب السيوف في سلطنة المماليك هم الأمراء على أقسامهم من أمراء مئين وأمراء طبليخانة وأمراء عشرات وخمسات ، وبالبحث في كتب المصادر المملوكية الكثيرة أدركنا أن أولاد الناس قد شغلوا العديد من هذه الإمارات ، فقد أُعطِيَ أولاد الناس الجوامك ومُنحوا الإمارات المختلفة بإقطاعاتها ، ولتتناول كل إمرة على حده حتى نوضح مدى تواجد أولاد الناس بها .

أولاً: أمراء المئين ومقدمي الألوفا .

اعتبر أمراء المئين ومقدمي الألوفا من أسمى المراتب العسكرية في جيش السلطان المملوكي ، ولأن المماليك لا يرقون إلى هذه الرتب العالية والمقام الرفيع إلا بعد أن يمروا بهراحل طويلة منذ شرائهم إلى أن يدخلوا الطباق

ونظام الترقية إلى هذه الإمارات في الجيش المملوكي لم يخضع لقاعدة ثابتة فيبدو أن هناك طريقتين للترقية ، الأولى وهي الطريقة العادية حيث يندرج المملوك في الترقى الطبيعي من رتبة إلى الأعلى منها ، فبعد تدريبه في الطباق على أعمال الفروسية كالرمي بالنشاب واللعب بالرمح وركوب الخيل ، ثم يدرج بعد ذلك في الجامكية ويكون راتبه من ثلاثة إلى سبعة دنانير في الشهر فإذا ما وصل إلى درجة الفروسية وبلغ مبلغ الرجال أعتقه السلطان ، وأخرج له خيلاً وقماشاً وجعله أمير خمسة بإقطاع ووظيفة لائقة ، ثم يرقى بعد ذلك في رتب الإمرة إلى أن يصل إلى أمير مئة ومقدم ألف وربما أصبح سلطاناً ، والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخ دولة المماليك ، مثل السلطان المؤيد شيخ المحمودي .

أما الطريقة الثانية والذي أطلق عليها د. إبراهيم طرخان طريق الطفرة فكان يمكن للأمير أن يرقى من رتب الجندية أو أمير عشرة إلى أمير مئة دفعة واحدة ، مثال ذلك السلطان برفوق الذي رُقِيَ من الجندية إلى إمرة أربعين دفعة واحدة .

غير أن أولاد الناس قد وصل البعض منهم إلى إمرة مئة وتقدمه ألف دون التدرج الطبيعي الذي كان يلزم هذه المرتبة العسكرية ، وكان شفيعهم في ذلك عدة أسباب :

(١) إما لكونهم أبناء سلاطين (أسياد) . ومن الأمثلة على ذلك من الأسياد الأمير آنوك بن الناصر محمد بن قلاوون عندما أمره أبوه مئة وقدمه على إخوته بالرغم من كونهم "أسن منه" ، وفي دولة الجراكسة ، أمر السلطان الظاهر جقمق العلائي ابنه المقام الفخري عثمان بن جقمق أمير مئة .

(٢) وإما لقربهم من السلطان عن طريق القرابة أو المصاهرة أو محبة السلطان لبعض أولاد الناس ، ومن الأمثلة على ذلك الأمير أحمد بن بكثير الساقى الذي كان شديد القرب من السلطان الناصر محمد بن قلاوون

(٣) وإما لكونهم أبناء أمراء ومدبري مملكة ، ومنهم ابن الأمير طشتمر حمص أخضر في عهد الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون ،

(٤) والسبب الأخير لمهاراتهم وكفائتهم فيما أسدى إليهم من وظائف ، مثال ذلك : تآمير الأمير محمد بن أمير سلاح بكتاش الفخري في عهد السلطان قلاوون بسبب أنه اشترك رغم صغر

(ب) أولاد الأمراء

أما أولاد الناس من أبناء الأمراء الذين كانوا من جملة أمراء الطبلخانة فذكرت لنا المصادر العديد منهم طوال تاريخ سلاطين المماليك، فقد شاركوا مشاركة فاعلة في مناصبهم التي رفقوا إليها، ولنحاول تتبع هؤلاء الأمراء لنقف على مدى مشاركتهم هذه.

في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الأولى، كان زين الدين كتبغا نائب السلطنة وصاحب السلطنة الفعلية في البلاد. فرقي بعض خواصه إلى إمرات بانعام من السلطان، فكان من بينهم ابنه أنص الذي رُقي إلى إمرة طبلخانة، وعندما استطاع السلطان الناصر الانفراد بأمور السلطنة عام ١٣٠٩/٧٠٩م وطوال فترة حكمه نراه ينعم على جملة من أولاد الناس أبناء الأمراء بإمرات مختلفة منها إمرة طبلخانة، فممن رُقي إلى هذه الرتبة العسكرية في عهده، الأمير ناصر الدين محمد بن أرغون النائب المتوفى عام ١٣٢٦/٧٢٧م. وأيضا عندما توفي الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري وورد الخبر بموته في عام ١٣٢٧/٧٢٨م بالمرافة من إقليم أذربيجان، انعم السلطان على ولده الأمير علي بن قرا سنقر بإمرة طبلخانة أبقاه على عادته في دمشق.

أما في دولة المماليك الجراكسة فقد رُقي بعض أولاد الأمراء إلى رتبة إمرة طبلخانة ويعتبر العصر الجراكسي امتداد للعصر التركي في الدولة المملوكية لان جملة من الأمراء الجراكسة من مقدمي الألوفا والآتابكة ونواب السلطنة هم الذين كانوا مسيطرين على مقدرات أحوال أحفاد الناصر محمد بن قلاوون، ونجد في هذه الحقبة تواجد لا بأس به بين الأمراء المماليك من أولاد الناس من أبناء الأمراء بل إننا لم نلاحظ أن عدد من الأحفاد قد ظهر في فئة أولاد الناس، وولي إمرات في عهد أحفاد الناصر من هؤلاء، الأمير ناصر الدين محمد بن محمد بن تنكر نائب الشام الذي أمر طبلخانة في عهد الأشرف شعبان واستمر إلى عهد السلطان بقوق. ومنهم الأمير ناصر الدين محمد بن جُوق بن الأمير الكبير أيتمش الجاسي الذي كان من أمراء الطبلخانة وتوفي في عام ١٣٩٥/٧٩٨م. في عهد السلطان الظاهر بقوق.

ثالثا: أمراء العشرات

تأتي رتبة أمراء العشرات في الدولة المملوكية في المرتبة الثالثة من الأمراء أرباب السيوف، ويصل عدد من أولاد الناس إلى هذه المرتبة في الدولة المملوكية بعصرها التركي والجر كسي.

في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون رقي عدد من أولاد الناس أبناء الأمراء إلى رتبة أمير عشرة، في عام ١٣٢٧/٧٢٨م وبعد وفاة الأمير قرا سنقر المنصوري انعم السلطان على ولده "الأمير فرج بن قرا سنقر بإمرة عشرة" ورسم بسفره من القاهرة إلى دمشق، وفي نفس العام توفي الأمير سيف الدين بكتمر الحسامي المعروف بالحاجب، فأنعم السلطان على ولده ناصر الدين محمد بإمرة عشرة مع انه لم يكن تجاوز الثالثة عشر من عمره.

ومن الأمراء العشرات في دولة الظاهر بقوق الأمير ناصر الدين محمد بن بزlar، والأمير حسام الدين حسن بن الأمير علاء الدين علي بن سيف الدين قشتمر ولم يتأمر من أبناء الأمير علي بن قشتمر غيره. وفي عام ١٣٩٢/٧٩٥م قلد السلطان بقوق الأمير موسى بن قماري أمير شكار إمرة عشرين زيادة على ما كان بيده من إقطاع عشرة، وكذلك انعم في عام ١٣٩٣/٧٩٦م بإمرة عشرين على الأمير شهاب الدين احمد بن الوزير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلفت وأقر الأمير خضر بن عمر بن احمد بن بكتمر الساقى على ما كان بيده من

إمرة عشرة بالرغم من أن الذي قلده الإمرة الأمير منطاش، وقلد الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير شرف الدين موسى بن أرقطاي إمرة عشر، وكذلك الأمير موسى بن أبي بكر بن سلار، وانعم في عام ١٣٩٧/٨٠٠م على الأمير محمد بن قلمطاي بإمرة عشرة وكذلك من جملة أمراء العشرات الأمير علي بن بلاط الفخري، الأمير احمد بن أرغون شاه الأشرفي، والأمير خليل بن دنكر بغا.

رابعاً: أجناد الحلقة

وأجناد الحلقة في دولة سلاطين المماليك هم أول أقسام الجيش المملوكي كما حدد ذلك أبو المحاسن بقوله (قسم يقال له أجناد الحلقة وموضوعهم أن يكونوا في خدمة السلطان، ولكل منهم إقطاع في أعمال مصر، وكل ألف منهم مضافة إلى أمير مئة ومقدم ألف، ولهذا المعنى سمي الأمير بمصر أمير مئة، اعني صاحب مئة مملوك في خدمته ومقدم ألف من هؤلاء أجناد الحلقة).

هذا وعرف من خلال دراسة تكوين الجيش المملوكي أن قوام جند الحلقة يؤلف من المقاتلين الأحرار من أبناء المماليك الذين عرفوا في مصطلح ذلك العصر باسم أولاد الناس، والمماليك، والتركان، وبعض المصريين الذين انضموا للجيش، ومناشير إقطاع هذا القسم من الجند تصدر من السلطان مباشرة وتراوحت قيمة إقطاع مقدم الحلقة ما بين ألف وخمسة مئة دينار في السنة ومتوسط قيمة إقطاع الجندي مئتان وخمسين ديناراً في السنة. ومن الممكن أن يشترك عدد من أجناد الحلقة في الإقطاع الواحد، أما من لم يكن منهم له إقطاع فتصرف رواتبهم من ديوان الجيش والبعض من المؤرخين يصفهم بأنهم أقرب الأقسام شبه إلى نظام الجيش في العصور الحديثة، فهم جيش الدولة الذي لا يتغير بتغير السلطان، ويشرف على كل ألف منهم أحد أمراء المئين، ولكل مئة منهم نقيب (باشا) ولكل أربعون مقدماً

ورد في المصادر أسماء بعض أولاد الناس من أجناد الحلقة مثل احمد بن كشتغدي بن عبد الله المعزي، ذكره ابن حجر "من أجناد الحلقة من أهل الخير والعفاف والوقار" وذكر كذلك فرج بن طوغان أحد مقدمي الحلقة.

وبهذا العرض يتبين لنا أن فئة أولاد الناس قد مثلت في الجيش المملوكي في طبقة الأمراء أرباب السيوف وكان لهم تواجد في كافة أقسامها من أمراء المئين ومقدمي الألوفا، وأمراء الطبلخانة، وأمراء العشرات حتى في طوائف قسم أجناد الحلقة، وبالرغم من انه لم يكن هناك توضيح مفصل لأحوال أولاد الناس في جند الحلقة إلا ما ساقه لنا ابن إياس في الجزء الرابع من بدائع وتبعه لأحوال أولاد الناس، وذلك باعتباره واحداً منهم وما ألم بهم من عسف السلاطين المتأخرين في دولة سلاطين المماليك وكذلك وضع كيفية مشاركتهم في الحملات التي كانت تخرج إلى جدة أو حلب أو لملاقة بني عثمان، وهذه المشاركة إما أن تكون فاعلة فيخرجون بأنفسهم في الأطلاب المسافرة، أو يدفعون أموالاً ليخرج بدلاً عنهم، وهذا ما سوف نوضحه بشكل أدق في الصفحات التالية من هذا الفصل.

أولاد الناس في الإدارة المملوكية

اهتم سلاطين المماليك بإدارة شؤون السلطنة المملوكية اهتماماً كبيراً، وانسحب ذلك على النظم الإدارية المملوكية التي بلغت درجة عالية من الدقة الإحكام بسبب وجود إدارة مركزية في القاهرة، تقوم عليها عدة دواوين بها كبار موظفي الدولة، وإدارة محلية تشرف

عشقتم المارديني بحكم انتقاله إلى نيابة حلب. وتولاها أيضاً الأمير أحمد بن يلغا العمري أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية، وعندما تولى السلطان الظاهر بقوق ولاه إمرة مجلس لكونه ابن أستاذه يلغا الخاصكي وكان معظماً في دولة الظاهر بقوق.

وتولى أيضاً إمرة مجلس الأمير صارم الدين ابراهيم بن الأمير سيف الدين قطلو أقتمر عندما أنعم عليه بها الأمير منطاش عوضاً عن الأمير أحمد بن يلغا بعدما أنضم للناصري وقبض عليهما منطاش وسجنهما

(٥) إمرة أخورية: وهي كذلك من الوظائف الهامة في سلك الإدارة المملوكية، فلم نعث إلا على أمير واحد من أولاد الناس تقلد هذا المنصب، وهو الأمير سيف الدين استبغا بن بكتمر الأيوبكري، (وهو من عظماء أمراء الديار المصرية) وكان خصيصاً عند السلطان الناصر محمد وولاه إمرة طبلخاناة، ثم ترقى بعد مدة إلى أن ولي الأمير أخورية الكبرى للسلطان حسن بن الناصر محمد.

(٦) الحجوية: من الوظائف التي تولاها العديد من أولاد الناس أبناء الأمراء بأقسامها المختلفة، وقد شغل غير واحد من الأمراء منصب حاجب الحجاب، ففي سلطنة السلطان المنصور محمد بن المظفر حاجي ٧٦٢.٧٦٤هـ/١٣٦٠.١٣٦٢م. تقلد الأمير استبغا بن بكتمر الأيوبكري حاجب الحجاب عام ٧٦٣هـ/١٣٦١م.

كذلك استقر عدد من أولاد الناس في الحجوية الثانية منهم الأمير جمال الدين عبد الله بن بكتمر الحسامي في عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م واستقر بها حتى قلد عام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م حاجباً ثالثاً، وقد وصفه أبو المحاسن بأنه من جملة الأمراء "الطبلخانات بالديار المصرية وحاجبا بها". ووصف الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير سيف الدين الحاج آل ملك انه من جملة الحجاب في القاهرة بعد عودته من مباشرة نيابة غزة على إمرة مائة وتقدمة ألف فاستقر بالقاهرة على إمرة أربعين.

أما من وُصف في المصادر بكونه أحد الحجاب، أن تولى الحجوية، أو من الحجاب الصغار جملة من أولاد الناس هم، الأمير ناصر الدين محمد بن جليان الحاجب، والأمير ناصر الدين محمد بن أرغون المارديني "ولي الحجوية" والزيني فرج بن بروك السيفي "أحد الحجاب" بالديار المصرية، والأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير ناصر الدين محمد بن رجب "أحد الحجاب الصغار بها"

(٧) الإستدارية: من الوظائف الهامة التي تولاها عدد من أولاد الناس أبناء الأمراء في سلك وظائف أرباب السيوف في السلطنة المملوكية، ومن الذين تولوا هذا المنصب الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشي، إستادار العالية في عهد السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وفي عام ٧٧٥هـ/١٣٧٣م أنعم السلطان الأشرف شعبان بن حسين على الأمير ناصر الدين محمد بن آقبا أص بتقدمة ألف، واستقر أستاداراً وفي عام ٧٩١هـ/١٣٨٨م أثناء فتنة منطاش وبلغا الناصري، تولى الأمير حاج بن مغلطاي الحاجب أستادار السلطان المنصور حاجي، وكان غير واحد في عهد السلطان بقوق من أولاد الناس تولى الإستدارية منهم الأمير ناصر الدين محمد بن سنقر البكجاوي وكان أمير خمسين. والأمير عمر بن محمد بن قايماز وظل يتناوب الإستدارية مع سعد الدين بن غراب في عهد الناصر فرج بن بقوق حتى عام ٨٠٧هـ/١٤٠٤م.

هذا وكانت تقصّل إستدارية الأملاك والذخيرة أحياناً عن الإستدارية العالية بأن يتولاها أمير من الأمراء، ومن أولاد الناس أبناء

على أقاليم السلطنة يترأسها مجموعة من النواب والولاة، وكل هؤلاء يعملون بتوجيه تام من السلطان المملوكي.

أولاً: وظائف أرباب السيوف

أ. من هو بحضرة السلطان المملوكي

شارك الأمراء أرباب السيوف في عدة وظائف في الدولة، كلها أسهمت في إدارة النظام الإداري للسلطنة بشكل ابرز الجهاز الإداري كنظام متكامل، حيث وجدت إدارة مركزية مقرها القاهرة، وعمادها مجموعة من الوظائف وكبار موظفين تمثلوا في الوظائف التالية:

(١) نائب السلطنة يأتي حسب ترتيب الفلقشندي على رأس قائمة الوظائف السلطانية باعتباره وكيل السلطان وساعده الأيمن في تصريف شؤون الدولة، ويشترك مع السلطان في إصدار القرارات ومنح الألقاب والإقطاعات والمناشير ومن سلطته تعيين كبار الموظفين ومن هنا اتخذ لقب "كافل الممالك الإسلامية" والنيابة في دولة سلاطين المماليك على نوعين، نائب الحضرة، وهو الذي ينوب عن السلطان في أعماله مع وجود السلطان في القاهرة، ونائب الغيبة وهو أقل درجة من الأول وينوب عن السلطان أثناء غيبته خارج الديار المصرية

وبالنسبة لأولاد الناس من أبناء الأمراء فلم تمدنا المصادر المملوكية بمعلومات تفيد تولي أحد منهم هذا المنصب إلا ما ذكره المقريزي في حوادث عام ٧٦٢هـ/١٣٦٠م. وهي الأحداث الخاصة بمقتل السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، حيث "أقيم الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشي نائب الغيبة" وكان يشغل في ذلك الوقت منصب إستادار العالية. ولم نعث على نص آخر يفيد أن أحد من أولاد الناس تولى وظيفة نيابة السلطنة أو نيابة الغيبة.

(٢) الأتابكية: أما الأتابكية فهي الوظيفة الثانية من جملة وظائف الأمراء أرباب السيوف، فلم تذكر المصادر أي معلومات تدل على تولي أحد من أولاد الناس هذه الوظيفة، إلا ما جاء في حوادث ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، عندما أشيعت الأخبار أن السلطان إينال العلائي ولي ابنه الشهابي احمد في الأتابكية عوضاً عنه بعد سلطنته، ولعدم رضا كبار الأمراء عن هذه الترقية رأى الأشرف إينال الرجوع في اليوم التالي عن قراره في تولي الشهاب احمد، وخلع على الأمير تنيك البُرْدبكي هذا المنصب، واصبح أتابك العساكر، وفي أحداث عام ٨٦٢هـ/١٤٥٧م وبعد وفاة الأمير تنيك البُرْدبكي، خلع مرة أخرى على الشهابي احمد بن إينال أولاد واستقر في أتابكية العساكر وظل بها إلى أن قلد السلطنة في ٨٦٥هـ/١٤٦٠م.

(٣) رأس النوبة: وهي أهم ثالث وظيفة بعد الأتابكية، وبعد البحث في المصادر عمن تقلد هذه الوظيفة من أولاد الناس لم نجد إلا ما أشار إليه ابن إياس في وفيات عام ٩١٢هـ/١٥٠٦م حيث ذكر وفاة "الشهابي احمد بن الأمير مُر باي رأس نوبة النوب وكان قد كبر وشاخ وقارب التسعين سنة من العمر".

ولعل سبب عدم تولي أولاد الناس هذه المناصب الثلاثة الهامة في السلطنة المملوكية يرجع لشغل هذه المناصب من قبل الأمراء الكبار في الدولة، وخاصة المماليك الأجلاب والسلطانية، وقصر الوظائف الهامة عليهم وعلى خشداشية السلطان.

(٤) إمرة مجلس: ويأتي ترتيب وظيفة إمرة مجلس في الترتيب الرابع للفلقشندي وبرز غير واحد من أولاد الناس أبناء الأمراء في هذه الوظيفة منهم، الأمير خليل بن قوصون في عهد السلطان الأشرف شعبان، وكان الأمير خليل قد تولى إمرة مجلس عوضاً عن الأمير

الدواوين ، ثم عزل عنها في عام ١٣٩٩/٨٠٢م " بحكم إقامته في دمشق "

(١٢) أمير طبر: من الوظائف التي شغلها بعض أولاد الناس فلم نستدل إلا على أربعة فقط ممن قلد هذه الوظيفة منهم في عام ١٣٦٩/٧٧١م في عهد الأشرف شعبان بن حسين تولى الأمير ناصر الدين محمد بن قيران أمير طبر عوضاً عن الأمير شرف الدين موسى بن ديدار بن قرمان وكلاهما من أولاد الناس .

(١٣) إمرة شكار: صنف القلقشندي هذه الوظيفة في الترتيب الثانية والعشرين من الوظائف التي في حضرة السلطان ، وقد شغلها عدد قليل من أولاد الناس على فترات متباعدة خلال العصر المملوكي ، في عهد الناصر محمد بن قلاوون شغل الأمير شرف الدين الحسين بن أبي بكر بن جند ربك إمرة شكار ، وكان محظوظاً في الصيد فتقرب من الناصر وأعطاه تقديماً وعينية من هذه الوظيفة .

وفي عام ١٣٩٢/٧٩٥م انعم السلطان برقوق على الأمير موسى بن قماري أمير شكار بإمرة عشرة زيادة على عشرته المتولي بها إمرة شكار. وفي عهد الأشرف قانصوه الغوري ، تولى إمرة شكار اثنان من أولاد الناس هما الأمير محمد بن أحمد بن أسنبغا الطياري ، والأمير الناصري محمد بن القماري .

(١٤) حراسة الطير: وهي تلي إمرة شكار في ترتيب الوظائف ، ولم نعثر إلا على خبر واحد يدل على أن أحد أولاد الناس تقلد هذه الوظيفة وذلك في حوادث ١٣٤٤/٧٤٥م. حيث ذكر المقرئ أن ابن الأمير بيغا الشمسي كان حارساً للطير في عهد السلطان الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون

(١٥) شد العمائر: بالبحث في المصادر لم نجد إلا خبرين فقط يشيران إلى تولى أولاد الناس هذه الوظيفة الأول عام ١٣٦٥/٧٦٧م خلال عهد السلطان الأشرف شعبان ، حيث انعم على الأمير ناصر الدين محمد بن آقبا أص بوظيفة شادية العمائر وفي أحداث ١٣٨٨/٧٩١م ورد خبر بتقليد الأمراء خليل بن قرطاي شد العمائر

(١٦) الولاية: صنف القلقشندي وظيفة الولاية في المرتبة الخامسة والعشرين وقسم الولاية بالحاضرة إلى صنفين أولهما ولاية الشرطة ، وهم المعروفون بولاية الحروب ، وهي على ثلاثة أقسام بالقاهرة ، الفسطاط (مصر) ، والقرافة ، والنصف الثاني ولاية القلعة وبدورهما ينقسمان إلى قسمين والي القلعة ، ووالي باب القلعة .

أولوية القاهرة: وواليها يحكم في القاهرة وضواحيها وهي أكبر الأقسام الثلاثة وأعلاهم رتبة وعادته أمير طبلخانة ، وقد تولى ولاية القاهرة غير واحد من أولاد الناس أرباب السيوف ، ففي عهد الصالح صالح بن محمد بن قلاوون ، قلد الأمير ناصر الدين محمد بن بيليك المحسني ولاية القاهرة ، ثم بعد عزله من ولاية القاهرة استقر عام ١٣٥٣/٧٥٤م مشير الدولة ، وجلس مع الوزير في قاعة الصاحب .

والأمير ناصر الدين محمد بن علي بن كلفت التركماني فقد استقر في ولاية القاهرة فترة ، حيث قلد هذا المنصب عام ١٤٠٣/٨٠٤م أضيف إليه أيضاً شد الدواوين كما ذكرنا آنفاً .

ب. ولاية الفسطاط (مصر): يحكم واليها في خاصة مصر على نظير ما يحكم والي القاهرة ، وعادته أمير عشرة ، وفي عهد القلقشندي أضيفت ولاية القرافة إلى والي الفسطاط وصار أمير طبلخانة ، ولكنه لا يبلغ مكانة والي القاهرة .

الأمراء الذين تولوا هذه الوظيفة الأمير ناصر الدين محمد بن سنقر عندما عزل عن الاستدارية والأمير يلبغا المجنون ، واستقر استادار الأملاك والذخيرة ، والأمير صلاح الدين محمد ابن تنكز الذي تولى استدارية الذخيرة ثم خلع واستقر مكانه الأمير علاء الدين علي ابن الطبلوي في عام ١٣٩٦/٧٩٩م على عهد السلطان برقوق ، وتولى استدارية الأملاك والذخيرة أيضاً الأمير يونس بن عمر بن جرنجا .

(٨) شاد الشراب خانة: أما وظيفة شاد الشراب خانة فلم نعثر على كثير من أولاد الناس تولوا هذه الوظيفة إلا ما ذكر في بدائع الزهور خلال أحداث عام ١٥٠١/٩٠٧م في الرابع عشر من رجب خلع السلطان قانصوه الغوري على " ولده المقر الناصري محمد وقرره في شادية الشراب خانة عوضاً عن آقبا الطويل بحكم وفاته " وكان ولد السلطان حديث السن .

قد تولى بعض أما العشرات شادية الشراب خانة للأمراء الكبار فورد خبر عن الأمراء احمد بن نوروز شاد الأعنام والذي تولى شادية الشراب خانة للسلطان الظاهر جقمق عندما كان أمير أخور السلطان الأشرف برسباي .

(٩) نقابة الجيوش: تعتبر وظيفة نقابة الجيوش من الوظائف التي تولاهها عدد من أولاد الناس أبناء الأمراء في دولة سلاطين المماليك ، ففي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام ١٣١٩/٧١٩م. تولى الأمير شهاب الدين احمد بن آقوش العزيزي المهمندار نقابة الجيوش بعد وفاة الأمير طيبرس الخازنداري ، واستمر بها إلى أن خلعه السلطان الناصر عام ١٣٢٧/٧٢٨م .

هذا وفي عام ١٣٩٥/٧٩٨م أقر السلطان الظاهر برقوق الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير علاء الدين بن كلفت التركماني في نقابة الجيوش فظل بها إلى عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق. ولم نعثر على ما يفيد تولى أحد من أولاد الناس هذا المنصب غير ما ذكرنا .

(١٠) المهمندارية: وتلي وظيفة المهمندارية نقابة الجيوش في ترتيب الوظائف التي بحضرة السلطان ، وبالبحث بالمصادر المملوكية ، لم نجد أحداً من أولاد الناس أبناء الأمراء تولى هذه الوظيفة إلا الأمير محمد بن قاني باي اليوسفي في عهد السلطان الظاهر خشقدم ، ولم يُعمر في هذه الوظيفة طويلاً حيث غضب عليه السلطان لسببين: أولهما انه قام بفض مراسيم السلطان وعرف ما فيها والثاني انه كان أحد أصحاب جاني بك نائب جدة "وانحط أمره عند الظاهر خشقدم" ، ثم قويت علاقته بعد ذلك بالدوادار الكبير يشبك من مهدي ، وصار من أهم جلسائه .

(١١) شد الدواوين: وتأتي وظيفة شد الدواوين بعد المهمندارية في الوظائف السلطانية وأهمية هذه الوظيفة تكمن في كون صاحبها أداة للسلطان في المصادرات والقبض على المغضوب عليهم واستخلاص الأموال منهم وعقابهم ، فكثيراً ما وردت عبارات في المصادر تصف عمل شاد الدواوين مثل "وسلم لمشد الدواوين فعاقبه وشدد عليه العذاب" وكذلك " ومن خلال تعريف القلقشندي لها بقوله " أن يكون صاحبها رقيقاً للوزير متحدثاً في استخلاص الأموال " دلالة أيضاً على مدى ما تشكله من أهمية في سلك الوظائف الإدارية ولأهميتها لم تنسب إلى الوظائف الديوانية ، وجعل صاحبها أمير عشرة .

وفي عام ١٣٩٧/٨٠٠م تولاه الأمير بلبان واستمر بها إلى عام ١٣٩٨/٨٠١م فخلفه فيها الأمير أحمد بن خاص ترك البريدي شاد

البحري، ومقر نائبها أسيوط ويحكم على جميع بلاد الوجه القبلي. هذا ولم نعثر على عدد وافر من أولاد الناس استقروا في ولاية الوجه القبلي إلا ما ذكر في حوادث ١٣٧٩/هـ/١٣٧٩م من استقرار الأمير محمد بن إياز التركي في ولاية الوجه القبلي، وفي حوادث عام ١٣٩٤/هـ/١٣٩٤م في دولة الظاهر برقوق استقرار الأمير فرج بن أيدير في نيابة الوجه القبلي بعد إن نقل إليها من نيابة الوجه البحري.

٣. نيابة الوجه البحري: هذه النيابة أيضاً مما استحدثت في عهد السلطان الظاهر برقوق، وتلي في أهميتها نيابة الوجه القبلي، ومقر نائب الوجه البحري في مدينة دمنهور بالبحيرة. وبالبحث في المصادر المملوكية لم نعثر إلا على أمير واحد فقط من أولاد الناس تولى هذه النيابة وهو الأمير فرج بن أيدير، وذلك في عام ١٣٩٥/هـ/١٣٩٢م في عهد الظاهر برقوق. ثانياً: الكشاف.

وهم من الطبقة الثانية مما هو خارج عن حضرة السلطان، وقبل عهد الظاهر برقوق كان الكشافون هم الذين يتولون أمر الوجه القبلي والوجه البحري إلى أن استقرت بهما النيابة، وفي العصر المملوكي الأول ذكر في سياق أحداث العصر أولاد الناس من الأمراء وتولى بعضهم كشاف للوجه القبلي ومنهم الأمير شرف الدين موسى بن الأركشي الذي تولى ولاية قوص وأضيف إليه كشف الوجه القبلي في عام ١٣٧٥/هـ/١٣٧٣م على عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين.

وقد مثل أولاد الناس من أبناء الأمراء في وظيفة الكشاف في السلطنة المملوكية، ففي أثناء سلطنة الأشرف شعبان عام ١٣٧٣/هـ/١٣٧١م استقر الأمير محمد بن قيران الحسامي في كشف الوجه البحري وفي عهد السلطان الظاهر برقوق كان الأمير محمد بن قرائغا يتولى كشف البهنساوية والأطفيحية، عام ١٣٩٩/هـ/١٣٩٩م في سلطنة الناصر فرج بن برقوق" تولى الأمير علاء الدين بن طرنطاي كشف الوجه البحري، عوضاً عن علاء الدين صهر الأمير قرطاي بحكم انفصاله"

ثالثاً: الولاة بالوجهين القبلي والبحري.

والولايات المصرية على مرتبتين، المرتبة الأولى هم الولاة أمراء الطبلخانة وهم على سبع ولايات بالوجهين القبلي والبحري، والمرتبة الثانية وهم الولاة أمراء العشرات وهم أيضاً سبعة ولاية بالوجهين. وباعتبار انه لم نعثر على معلومات تفيد تمثيل أولاد الناس بالمرتبتين في كل الولايات الأربعة عشر. فاكفينا بترتيب الولايات التي أقيم بها أمراء أولاد ناس حسب الوجه القبلي والوجه البحري مع مراعاة إمرانهم. ولاية البهنسي: وهي اقرب الولايات إلى القاهرة، وقد تولاه ولاية من قبل السلاطين المماليك من أولاد الناس، ففي عام ١٣٧٦/هـ/١٣٧٤م في عهد الأشرف شعبان "استقر الأمير محمد بن بهادر في ولاية البهنسي"

ولاية الفيوم: لم يذكر القلقشندي هذه الولاية ضمن ولايات مرتبة الطبلخانة باعتبار انه ذكرها في طبقة الكشاف، ولم نعثر على أية معلومات تفيد بوجود كشاف على هذه الولاية من أولاد الناس بل في أكثر من مصدر ذكرت باعتبارها ولاية من ولايات الوجه القبلي، وتولاهها عدد من أولاد الناس من جملة الأمراء المماليك الذين تقلدوا إمرتها من قبل السلطان المملوكي، منهم في دولة الأشرف شعبان بن حسين الأمير محمد بن طغاي تولاهها وعزل منها في عام ١٣٦٢/هـ/١٣٦٢م.

هذا وقد أخبرتنا المصادر المملوكية أن غير واحد من أولاد الناس تقلدوا أمر ولاية الفسطاط (مصر) فذكر المقرئ في وفيات عام ١٣٣٨/هـ/١٣٣٨م الأمير أمير على بن أمير حاجب" وكان والي مصر وأحد أمراء العشرات"، وفي عام ١٣٧٩/هـ/١٣٧٧م خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير قرائغا الأناقي أحد العشرات واستقر في ولاية مصر.

جولاية القلعة: وهي من الصنف الثاني من الولاية، وواليها أمير طبلخانة، وله التحدث على باب القلعة الكبير حيث يخرج منه عامة العسكر في خروجهم ونزولهم وله النظر في غلقه وفتحه وغير ذلك. ولم نعثر من خلال المصادر إلا على الأمير صارم الدين إبراهيم بن بُرغي الذي تولى القلعة في فتنة منطاش والناصري.

وهكذا نرى ترقى عدد من أولاد الناس سواء من أولاد السلاطين (الأسيد) أو أولاد الأمراء في سلك الوظائف التي بحضرة السلطان المملوكي، وبالرغم من أن السمة السائدة في ذلك العصر هي عدم استقرار الأمير في وظيفته التي يرقى إليه بل وربما تصيبه مضرة بالغة مثل القبض عليه والمصادرات، وغضب السلطان، وأحياناً يلجأ الأمير إلى دفع براويل وأموال حتى يلي الوظائف السلطانية.

ب. من هو خارج عن الحضرة السلطانية

ينقسم الأمراء الذين في وظائف أرباب السيوف خارج الحضرة السلطانية ثلاثة أقسام هم نواب السلطنة، والكشاف والولاة بالوجهين القبلي والبحري وقد شارك أولاد الناس من أبناء الأمراء في هذه الوظائف، وساهموا في إدارة المدن خارج الحضرة السلطانية، وسوف نحاول التعرف على مدى إسهاماتهم في ذلك.

أولاً: نواب السلطنة: نواب السلطنة في خارج الحضرة السلطانية هم نواب النيابات الكبرى في السلطنة المملوكية وما هو موجود منها بمصر ثلاث نيابات، نيابة الإسكندرية، نيابة الوجه القبلي ونيابة الوجه البحري، ومن النيابات الشامية، نيابة دمشق، وحلب، وحماة، وحمص، وطرابلس، وصفد، وبيت المقدس، وغزة وغيرهم من نيابات المملكة الشامية. وقد قصدنا ترتيب نواب السلطنة في النيابات المصرية أولاً ثم النيابات في بلاد الشام. وذلك باعتبار أن مصر هي قاعدة حكم السلاطين المماليك.

١. نيابة الإسكندرية: الإسكندرية نيابة جليلة القدر تضاهي في قدرها نيابات طرابلس وحماة وصفد من النيابات الشامية، وقد رُتب بها كرسي سلطنة ونمجة سلطانية توضع على الكرسي، ونائب الإسكندرية من الأمراء المقدمين، وقد تولى إمرة الإسكندرية منذ أن قررت فيها النيابة عام ١٣٦٥/هـ/١٣٦٥م عدد من أولاد الناس أبناء الأمراء، ففي عام ١٣٧٩/هـ/١٣٧٧م قرر السلطان المنصور علي بن الأشرف شعبان- والأمير الكبير في ذلك الوقت الأمير اينك البدري الأمير علاء الدين علي بن قشتمر في نيابة الإسكندرية، عوضاً عن صلاح الدين خليل بن عزام وكان علاء الدين علي قد أمر أمير مائة ومقدم ألف في عهد السلطان المنصور علي وكذلك عام ١٤٤٥/هـ/١٤٤١م في عهد السلطان الظاهر جقمق العلائي خُلع على الأمير شهاب الدين احمد بن علاء الدين علي بن اينال نيابة الإسكندرية واستمر بها "مدة طويلة"

٢. نيابة الوجه القبلي: وهذه النيابة مما استحدثه السلطان الظاهر برقوق في الأنظمة الإدارية بالسلطنة المملوكية، وهي ذات مكانة هامة في نيابات السلطنة واعظم خطراً من نيابة الوجه

١. نيابة حلب: وهي من أهم نيابات بلاد الشام، وقد قلد بعض الأمراء من أولاد الناس إمرة حلب، ففي عهد الأشرف شعبان بن حسين قلد الأمير سيف الدين أسنبغا بن بكتمر الأوبكري عام ١٣٦٨/هـ٧٧٠م، عوضاً عن الأمير طيبغا الطويل وباشير الأمير أسنبغا ولايتها ستة أشهر ثم نقل إلى القاهرة.
 ٢. نيابة حماه: وهي من نيابات بلاد الشام، وقد تقلد أحد أولاد الناس من الأمراء نيابتها ففي أحداث عام ١٣٨٨/هـ٧٩١م خلع الأمير المنصور أمير حاجي على الأمير شهاب الدين أحمد بن محمد المهندار "واستقر به نائب حماه" هذا ولم نعثر على أي أخبار أخرى تقيد تقلد أحد أولاد الناس إمرة هذه النيابة.
 ٣. نيابة غزة: هي من نيابات بلاد الشام، وقد تولاهما من أولاد الناس عام ١٣٧٥/هـ٧٧٣م الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير سيف الدين آل ملك الجوكندار على عهد الأشرف شعبان بن حسين.
 ٤. نيابة صدد: قلد هذه النيابة عدد من أولاد الناس، ففي حوادث عام ١٢٦٦/هـ٧٦٥م استقر الأمير عمر بن أرغون النائب في صدد، ودام بها حتى عام ١٢٦٧/هـ٧٦٦م. وتولى نيابتها أيضاً الأمير مظفر الدين موسى بن الحاج أرقطاي الناصري، وكان من الأمثال وله وجاهة في الدولة وتوفي عام ١٣٧٤/هـ٧٧٢، وقلد الأمير محمد بن مبرك الناصري نيابة صدد بعد وفاة الأمير يشك الحمزاوي عام ١٤٥١/هـ٨٥٥م في دولة الظاهر جقمق العلائي.
 ٥. نيابة الكرك: وهي من نيابات الشام الهامة، وكثيراً ما خرج إليها سلاطين المماليك وأولادهم، وجلس في نيابتها بعض الأمراء من أولاد الناس أرباب السيوف ففي عام ١٣٦٧/هـ٧٦٩م استقر الأمير عمر بن أرغون النائب في نيابة الكرك عوضاً عن ابن القشتمري، وكلاهما من أولاد الناس، وتولاهما من قبل الظاهر بقوق الأمير محمد بن مبارك شاه المهندار، وفي عام ١٤٣٧/هـ٨٤١م تولى الأمير غرس الدين خليل نيابة الكرك، "وسار بطلبه وأقاله من ساعته".
 ٦. نيابة القدس الشريف: وهي إمارة جلييلة القدر عند سلاطين المماليك. ولم نجد غير واحد من الأمراء أولاد الناس تولوا هذه النيابة، وهو الأمير شهاب الدين أحمد بن آل ملك، والذي نقل إليها من نيابة غزة.
 ٧. نيابة نابلس: تولى هذه النيابة الأمير علي بن بلبان البديري.
 ٨. نيابة المرقب: تولى هذه النيابة الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير دقماق، أنعم عليه بنيابته السلطان الأشرف برسباي الدقماقي، بعد أن أنعم عليه بإمارة طبلخانة في طرابلس.
 ٩. نيابة طرابلس: وهذه النيابة تولاهما الأمير برسباي بن حمزة الناصري في عهد الأشرف برسباي بعد قانباي الحمزاوي الذي نقل إلى حلب.
- وهكذا رأينا كيف مثل الأمراء أولاد الناس في نيابات الشام، وبالرغم من تمثيلهم الضعيف بالمقارنة مع الأمراء المماليك الآخرين، إلا أنه قد وجد بعض منهم على رأس هذه النيابات، وإن كانت فترة حكم السلطان الناصر حسن والأشرف شعبان بن حسين قد حظيت بنسبة لا بأس بها من مشاركة الأمراء أولاد الناس في إدارة النيابات الشامية، وهذا يرجع إلى عناية هذين السلطانيين بأولاد الناس ورعايتهم وتوليبتهم المناصب والإمارة.

- وخبر آخر يفيد تولى أحد أولاد الناس ولاية الفيوم وهو ما جاء في حوادث عام ١٣٩٩/هـ٨٠٢م من قبض السلطان على الأمير أمير حاج بن أيديمر، وذلك لأنه كان يلي الفيوم في ولاية منطاش.
- ولاية الجيزة:** وهي من ولايات المرتبة الثانية حيث كان واليها أمير طبلخانة ثم استقر أمير عشرة، وقد تولى هذه الولاية من أولاد الناس ناصر الدين محمد بن أرغون المارداني.
- ولاية منوف (المنوفية):** وهي من ولايات المرتبة الأولى، فقد تولاهما من أولاد الناس في عهد الأشرف شعبان بن حسين الأمير خاص ترك بن طغاي وفي عام ١٣٧٨/هـ٧٨٠م "خلع على الأمير محمد بن طاجار، واستقر في ولاية المنوفية".
- ولاية الغربية:** وهي من ولايات المرتبة الأولى، وقد تولاهما عدد لا بأس به من أولاد الناس، ففي خلال عام ١٣٦٣/هـ٧٦٥م قلد السلطان الأشرف شعبان الأمير عمر بن الكركند ولاية الغربية. وفي عام ١٣٩٩/هـ٨٠٢م تولى ولاية الغربية أكثر من أمير من أولاد الناس فقد تولاهما الأمير جمال الدين يوسف بن قطلوبك، وبعد وفاته تولى أمر الغربية الأمير محمد بن غزلو، إلى أن عُزل عنها بتولية الأمير سعيد بن الأمير فرج بن أيديمر.
- ولاية البحيرة:** وهي أيضاً من ولايات المرتبة الأولى، ولم نجد سوى خبر واحد يخبرنا بالإعتمام بهذه الولاية على أحد أولاد الناس في أحداث عام ١٤٣٢/هـ٨٣٦م في عهد السلطان الأشرف برسباي عندما خُلع على حسن بك بن سالم الدوكري ابن أخت قرايُلك باستقراره في ولاية البحيرة عوضاً عن أمير على، ووجهه إلى مدينة دمهور، وأقام بها سنين عديدة، ويذكر أبو المحاسن أن أميرها على عهده ابن الأمير حسن بك.
- ولاية قليوب:** وهي من ولايات المرتبة الثانية، ولم نستدل إلا على خبر واحد يفيد تولى أولاد الناس هذه الولاية وذلك فيما ذكره المقريزي بتقليد الأمير ناصر الدين محمد بن طلي ولاية قليوب عوضاً عن الأمير ناصر الدين محمد بن قرايُبا الأناقي. وكلاهما من أولاد الناس.
- ولاية دمياط:** وهي من ولايات المرتبة الثانية، وتعد من الولايات الهامة في سلطنة المماليك باعتبار دمياط ثغراً بحرياً له أهميته التجارية والحربية على حد سواء، وقد أمدتنا المصادر بعدد من الأمراء أولاد الناس تقلدوا إمرة دمياط، منهم الأمير شهاب الدين أحمد بن بيليك المحسني تولاهما على عهد السلطان الناصر حسن.
- ولاية قطيا:** وهي أيضاً من ولايات المرتبة الثانية، وقد تقلد إمرة هذه الولاية من أولاد الناس، الأمير بكتمر بن علي بن الحسن الذي خلع منها في عام ١٣٦٢/هـ٧٦٤م وقلد ولاية القاهرة عوضاً عن الأمير علاء الدين علي بن الكوراني، وتولاهما أيضاً الأمير علاء الدين علي بن الطشلاقي في عام ١٣٨٢/هـ٧٨٤م، وكان بجانب ولاية قطيا والبا على دمياط في نفس الوقت، وقلد ولايتها أيضاً في عهد السلطان الظاهر بقوق الأمير محمد بن اشقتمر.
- رابعاً: النيابات الشامية.
- تعددت النيابات الشامية في دولة سلاطين المماليك وكان على كل نيابة منها نائب سلطنة من الأمراء أرباب السيوف، وهؤلاء من القسم الخارج عن الحضرة السلطانية ويتوبون عن السلطان في نياباتهم ولا يقطعون أمراً دونه إلا إذا سمح لهم بذلك وقد ساهم الأمراء أولاد الناس في إدارة هذه النيابات الشامية وتعرف في السطور التالية على مدى إسهاماتهم في هذه الوظائف.

ثانياً: الوظائف الديوانية

الوظائف الديوانية "كثيرة للغاية لا يسع استيفائها ومن الوظائف التي شارك فيها الأمراء من أولاد الناس.

أ. الوزارة: وهي من أجل الوظائف وارتفاعها رتبة منذ استقر شأنها وتمهدت قواعدها وتقررت قوانينها في العصر المماليكي. هذا وقد مارس أولاد الناس وظيفة الوزارة. وذكرت المصادر المملوكية عدد منهم، فقد وزر الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير حسام الدين لاجين الصقري المعروف بابن الحسام للسلطان برقوق، وقد "باشرها بحرمة ومهابة" وتوفي في عام ٧٩٤هـ/١٣٩١م.

واستقر أيضاً في وزارة السلطان الظاهر برقوق عام ٧٩٤هـ/١٣٩١م الأمير ركن الدين عمر بن الأمير ناصر الدين محمد بن قايماز وذلك عوضاً عن ناصر الدين بن الحسام الصقري وكانت الوزارة من جملة وظائف باشرها الأمير ركن الدين عمر بن قايماز.

هذا ولم تمدنا المصادر بأي معلومات أخرى تفيد تولي أحد أولاد الناس الوزارة غير ما سبق، ومهما يكن من أمر فقد باشر هذه الوظيفة الديوانية الهامة عدد من أولاد الناس.

ب. نظر بيت المال: وهو من الوظائف الديوانية التي لها مكانة في سلك الإدارة المملوكية، وصنفها القلقشندي في الترتيب الثاني على أنه يمكن الإشارة إلى أن كل من تولي الوزارة من أولاد الناس كانوا من أرباب السيوف وليس من أرباب الأقلام، وهناك مثال قائم يمكن أن يساق للدلالة على تنقل أولاد الناس بين الوظائف المختلفة سواء كانت وظائف أرباب سيوف أو وظائف ديوانية.

فمن خلال ترجمة الأمير غرس الدين خليل بن شاهين الصقري الظاهري نرى ذلك المثال بوضوح، فقد كان من جملة مهالك الأشرف برسباي، ولاة الأشرف نظر الأسكندرية، ثم حجوبيتها، ثم نظر بيع البهار، ثم في عام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م تولي نيابة الأسكندرية، وكان آنذاك أمير طبلخانة، ثم استدعي إلى القاهرة وقرر في نظر دار الضرب، وبعدها نقل إلى الوزارة، واستعفي منها بعد مدة يسيرة، وبعد هذه جملة الوظائف التي ساهم فيها الأمراء أولاد الناس داخل الإدارة المملوكية من وظائف أرباب السيوف والوظائف الديوانية. وقد رأينا مدى تواجدهم تقريباً في كافة الوظائف الإدارية وخاصة وظائف أرباب السيوف في حضرة السلطان المملوكي أو خارج الحضرة السلطانية.

وبالرغم من ضعف مشاركة أولاد الناس في الوظائف الديوانية، فربما كان ذلك بسبب أن هذه الوظائف يتولاها أرباب الأقلام في الدولة، وقد لاحظنا أن أغلب أولاد الناس من أرباب السيوف، وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن الفترة الخصبة التي حظي فيها أولاد الناس باهتمام السلاطين وترقيتهم هي من عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون مروراً بالناصر حسن والأشرف شعبان والمنصور علي وصولاً إلى عهد الظاهر برقوق في العصر المملوكي الثاني (الجركسي)، فقد تعهد هذا السلطان العديد من أولاد الناس وراقهم في إمرات ووظائف مختلفة.

مشاركة أولاد الناس في الأحداث السياسية

تأتي مشاركة أولاد الناس في الأحداث السياسية الداخلية والخارجية في الدولة المملوكية باعتبار أن البعض منهم كان شارك مشاركة فعلية في وظائف أرباب السيوف، وقد انخرطوا في السلك السياسي، وشاركوا في أحداث الدولة من الخلافات والمنازعات التي كانت تنشأ بين السلاطين وكبار الأمراء أو بين الأمراء بعضهم البعض، وأدى ذلك إلى ظهور دور يتسم بالتواضع لهذه الفئة داخل الحياة

السياسية وذلك باعتبار أنهم تواجدوا بشكل ما في الإدارة السياسية المملوكية، وتنقسم مشاركتهم هذه إلى قسمين:

أولاً: الصراعات والفتن والأحداث الداخلية

اعتبر العصر المملوكي في مصر والشام من أهم العصور التي شكلت فيها الصراعات والفتن خاصة من خصائصها، وكان أكثر ظهور لهذه الفتن في أوقات شغور دست السلطنة، وتولي سلطان جديد، أو الثورة على سلطان قلد السلطنة فيظهر المناوئين له والرافضين لسلطنته.

ومن الأمثلة على تخلص بعض السلاطين من الأمراء أولاد الناس ظناً منهم أنهم يشكلون خطراً عليهم في الحكم، ما حدث من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، تجاه ابن أخيه أمير موسى بن الملك الصالح علي بن قلاوون والذي كان من جملة الأمراء بمصر أولاد الأسياد، وظهر سئمته وبانت سمعته إلى أن خشي جانبه عمه السلطان الناصر، فأوكل به كل من الأمير علاء الدين أيدغدي والأمير سيف الدين بكتمر، فما زالوا به حتى القوا القبض عليه وقتل وأصبح نسيا منسيا وهو لم يكن أي جريرة ارتكبها ليذهب بإثمها. هذا وقد عاقب السلطان الكامل شعبان بن الناصر بن محمد بعض أولاد الناس من الأمراء بنفيهم وإخراجهم إلى بلاد الشام وذلك لأنهم وافقوا رأي الأمير الكبير آل ملك الجوكندار في عدم سلطنته بسبب صغر سنه ولهوه بالحمام في القلعة، وهم الأمير أحمد بن آل ملك شاد الشراب خاناة واخوته الأمير قماري الإستاذار.

ونرى دور أولاد الناس من الأمراء واضحاً في الأحداث الداخلية وذلك على عهد الأشرف شعبان بن حسين في عام ٧٦٩هـ/١٣٦٧م عندما قام مهالك الأمير يلبغا مع الأمير اسندمر الناصري أتاكب العساكر وخامروا على السلطان الأشرف شعبان ولبسوا لامة الحرب، واجتمع مع السلطان المهالك السلطانية وجملة من الأمراء منهم أولاد ناس مثل الأمير خليل بن قوصون والأمير استنغا بن الأبوبكري وقشتمر المنصوري وآخرون، واجتمع مع السلطان خلق كثير ولم يكن معه من المهالك السلطانية سوى مئتي أمير، وبلغ عدة من تجمع على اسندمر من مهالك يلبغا الذين يريدون عزل السلطان فوق الألف وخمس مئة، وحتى يتخلص السلطان من هذه الفتنة، أمر والي القاهرة بالنداء في شوارعها "من يقدر على مملوك من مهالك يلبغا الأجلاب فله سلبه، ويعطي من المال ما هو كيت وكيت"، فسار الناس في شوارع القاهرة وراء كل من هو يلبغاوي ليقبضوا عليه ويحضروه إلى الوالي.

هذا وقد حمل عام ٧٩١هـ/١٣٨٨م أحداث جسام في تاريخ دولة المهالك وهو العام الذي اشتهر بفتنة الأمير منطاش والأمير يلبغا الناصري، وخلصهما السلطان برقوق من السلطنة، وأعاد السلطان المنصور حاجي بن شعبان مرة أخرى. وقد شارك أولاد الناس من الأمراء في هذه الأحداث مشاركة فاعلة فمنهم من كان مناصراً للسلطان برقوق ضد التأثيرين عليه، ومنهم من كان مع منطاش والناصر.

ولسنا هنا بصدد الحديث تفصيلاً عن أحداث هذه الفتنة، ولكن يمكن أن نثبت مشاركة جملة من الأمراء أولاد الناس بجوار السلطان برقوق، منهم الأمراء شهاب الدين أحمد بن يلبغا أمير مجلس من أمراء الألوف، والأمير خضر بن عمر بن بكتمر الساقى، وناصر الدين محمد بن محمد بن أقبا أص، وهما من أمراء العشرات والأمير ناصر الدين محمد بن الدوداري أحد الطبلخانة، والذي نذبه السلطان برقوق لحفظ قياسر القاهرة.

السلطان "جماعة من المماليك السيفية وغير ذلك من أولاد الناس" وأمرهم بالتوجه إلى السويس تحت إمرة الأمير أر كماش أمير مجلس بسبب الكشف على المراكب التي عمرها السلطان هناك، وكذلك في عام ١٥١٤م/٩٢٠هـ عين السلطان الأشرف قانصوه الغوري جماعة من أولاد الناس وغيرهم من المماليك لحفظ الجسور التي بالشرقية والغربية.

ثانياً: الأحداث الخارجية

تأتي مشاركات أولاد الناس في الأحداث الخارجية التي حدثت خارج مصر على عدة أوجه مثل خروجهم في حملات إلى الحدود المملوكية في بلاد الشام أو في سفارات ومراسلات مع الدول التي تربطها علاقات مع السلطنة المملوكية أو لردع قطاع الطرق من العربان في طرق الحجيين الحجاز والقاهرة. هذه الأحداث مجتمعة شارك فيها أولاد الناس من الأمراء.

ففي حملة الأمير أربك من ططخ على بلاد التركمان على عهد الأشرف قايتباي. والتي عاد فيها الأمير أربك منتصراً على القوات العثمانية، مما أوجع نار الغضب عند بايزيد العثماني واعد حملة للانتقام من المماليك، مما جعل السلطان الأشرف يرصد جميع جهوده لإنفاذ حملة مماثلة للحملة العثمانية وأعلن أنه سوف يقود هذه الحملة بنفسه، وأرغم أولاد الناس بالاشتراك في هذه الحملة ومن لم يشترك عليه أن يخرج عنه بدلاً أو يدفع أموالاً لقاء عدم خروجه في الحملة.

وفي موقعة مرج دابق وعندما خرج السلطان قانصوه الغوري إلى لقاء السلطان سليم الأول، خرج معه جملة كبيرة من أولاد الناس شاركوا مع السلطان المملوكي في رسم نهاية دولة المماليك، وقد انفق السلطان على هؤلاء الأجناد من أولاد الناس الأموال ففرق لكل منهم ثلاثين ديناراً، هذا وقد قتل في موقعة مرج دابق عدد من أولاد الناس نذكر منهم على سيل المثال شرف الدين يونس بن قانصوه ابن ابنة قرقماش أحد الطبردارية، وجمال الدين محمد بن قرقماش أحد الطبردارية أيضاً، وأما من جاء بخبر أن السلطان سليم الأول العثماني قد تملك مدينة دمشق فهو أيضاً من أولاد الناس، وهو ناصر الدين محمد بن بلباي أحد الحجاب ويذكر ابن إياس انه تنكر في ذي العريان حتى يستطيع الوصول إلى القاهرة لإبلاغ الخبر.

وفي أثناء زحف السلطان سليم على القاهرة ثبت جماعة من أولاد الناس مع السلطان الأشرف طومان باي، وخاصة بعدما أرسل السلطان إلى أبناء الأسياد من أولاد المؤيد وأولاد الملك المنصور، وباقي أولاد الأمراء الذين بمصر "اعملوا يرقمكم واخرجوا للسفر والذي لا يسافر منكم يقيم له بديل عنه للسفر" أما من ثبت مع السلطان طومان باي في وجه ابن عثمان، الأمير حبي بن الأمير أربك من ططخ الذي حارب حتى نهاية الصراع بين المماليك والعثمانيين، وكذلك الأمير علي بن سودون الدوداري.

وفي أواخر العصر المملوكي واجهت مصر الوجود المتزايد للإفرنج (البرتغاليين) في البحر الأحمر، وخاصة بعدما كشفوا عن وجههم السافر برغبتهم القوية في ضرب الوجود المصري الإسلامي في بلاد الهند والمحيط الهندي، إلا أن السلطان الغوري لم يأس وأرسل عدة حملات وتجديدات أخرى إلى بلاد الهند شارك فيها أولاد الناس، وذلك في أعوام متعاقبة، واعد لذلك دار لبناء السفن في السويس، وعمر ما يقرب من عشرين مركباً، واعد حملة بحرية أخرى على رأسها

هذا وكان جملة من الأمراء أولاد الناس سائرين في ركاب الأمير منطاش والناصري، وقام السلطان المنصور حاجي بالإنعام عليهم بإنعامات منهم الأمراء محمد بن رجب بن محمد التركماني، ومحمد بن رجب بن جنتر، وإبراهيم بن يوسف بن برلغي، والأمير اسندمر بن يعقوب شاه أمير مجلس والأمير أمير حاج بن مغلطاي الذي انعم عليه السلطان بتقدمة ألف، وقام بعض أولاد الناس بحفظ القاهرة بعد تسلم السلطان المنصور حاجي مقاليد السلطنة، منهم الأمير أبو بكر بن سنقر الجمالي الذي وُكِّل إليه مع الأمير تنكر بغا رأس نوبة بحفظ القاهرة فكان موقع أبي بكر بن سنقر حفظ باب زويلة وإخراج من كان في القاهرة من المماليك الظاهرية والتركماني وغيرهم.

وكذلك بعد عودة السلطان الظاهر لقي كثير من أولاد الناس من الأمراء الذين انحازوا إلى منطاش والناصري كثير من الولايات، فقد أمر السلطان بالقبض على كل من الأمراء محمد بن بكتمر الحاجب وأخيه، وعلى أولاد الأمير أيدغمش وعلى أولاد الأمير قماري، وأخرجهم جميعاً إلى سجن الأسكندرية، وكذلك ألقى القبض على الأمير أمير حاج بن بيدمر، وذلك بسبب انه تولى إقليم الفيوم من قبيل الأمير منطاش، وحبس عند الأمير تهر باي الحسني حاجب الحجاب.

وفي حوادث عام ٩٠٢هـ/١٤٩٦م عندما قام الأمير قانصوه خمسمائة بالثورة على السلطان الناصر محمد بن قايتباي ٩٠١هـ/١٤٩٥م، حاول قانصوه خمسمائة استخدام أولاد الناس ضد السلطان، وذلك عندما نادى في القاهرة بأن أولاد الناس النقطية يطلعون إلى باب السلطنة، فلم يخرج إليه أحد من أولاد الناس ولا انقادوا له ضد السلطان.

وشارك الأمراء أولاد الناس في السلطنة المملوكية بأحداث داخلية أخرى غير الفتنة والاضطرابات والثورات التي كانت تنشب بين الأمراء بعضهم البعض، وبينهم وبين السلاطين، ومن أمثلة ذلك خروجهم في تجاريد لقمع العربان المتمردين في الصعيد، ففي عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م على عهد الملك الصالح عقد بتملك الأمراء المشورة بين يدي السلطان في أمر عرب الصعيد بعدما تمرد الأحذب ابن واصل شيخ عرب عمك، وحدثنه نفسه بتملك بلاد الصعيد وأقام له حاجباً وكاتباً، فقرر السلطان إرسال تجريده لتأديب هذا الخارج، وكان على رأسها الأمير سيف الدين شيخو العمري رأس نوبة، ومعه اثني عشر مقدماً، من أهمهم الأمير أمير علي بن أرغون النائب الذي أمره الأمير شيخو بالتوجه إلى البلاد الأطفيحية، وقام بقمع العربان إلى أن أمنت الطرقات برا وبحراً فلم يسمع بقاطع طريق بعدها

وعلى صعيد الوجه البحري فقد شارك الأمراء من أولاد الناس في عدة تجاريد خرجت من القاهرة، لتأديب عرب البحيرة وذلك في عدة سنوات متفرقة، ففي عام ٧٨٠هـ/١٣٧٨م على عهد السلطان علاء الدين على خرج الأمير إينال البوسفي أمير سلاح ومعه جملة من الأمراء من بينهم الأمير أحمد بن يلغا لقتال عرب البحيرة، وشارك أيضاً هذا الأمير في تجريدة أخرى إلى عرب البحيرة في عام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م لتأديب بدر بن سلام الذي خرج عن الطاعة، ورأس هذه الجملة الأمير أيتمش الجاس، وصحبة من الأمراء أولاد الناس الأمير قرط بن عمر التركماني أحد أمراء الطبلخانة.

هذا وفي أواخر العصر المملوكي على عهد السلطان الأشرف قانصوه الغوري خرج العديد من أولاد الناس بأمر من السلطان إلى أماكن عدة لحفظ النظام والأمن ففي عام ٩١٩هـ/١٥١٣م، عرض

بها ذلك العصر، وأصبحت سمة من سماته، وأسهموا في تأديب العربان المتمردين سواء في الصعيد والوجه البحري، وأيضاً تأديب العربان من قطاع الطريق الذين يقطعون طريق قوافل الحجيج، ثم انتهينا بإبراز دورهم في العلاقات السياسية الودية التي كانت تربط سلاطين مصر المماليك وملوك دول الجوار، وهكذا أوضحنا دورهم السياسي بشكل أثبت تواجدهم في سيرة الأحداث السياسية خلال ذلك العصر هذه الإسهامات التي لم يقتصر دورهم عليها، بل كان لهم إسهامات أخرى وتواجد ملحوظ في حياة المجتمع المصري الاجتماعية والثقافية وهذا ما سوف نتعرف عليه بوضوح أكثر.



من الإنتاج العلمي للدكتورة نهلث أنيس:

- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الثغور والعواصم الإسلامية على الحدود مع الدولة البيزنطية - رسالة ماجستير منشورة - دار الكتاب الجامعي القاهرة ٢٠٠٢ م.
- العلاقات بين مصر والممالك الإفريقية في عصر دولة المماليك الجراكسة ٧٨٤١-٩٢٢ هـ / ١٣٨٢-١٥١٧ م. كلية الدراسات الإنسانية، القاهرة ١٩٩٥ م. رسالة دكتوراه غير منشورة.
- الأسواق والمراكز التجارية في شمال الشام، والجزيرة خلال العصر العباسي، بحث نشر في المؤتمر الدولي للتاريخ الاقتصادي للمسلمين، جامعة الأزهر، القاهرة ٢٨: ٣٠ ذي الحجة ١٤١٨ هـ ٢٧: ٢٥ أبريل ١٩٩٨ م.
- الصراع علي السلطة وظاهرة العنف والاعتقالات في عصر دولتي سلاطين المماليك، كلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر، القاهرة من ٤-٦ ربيع أول ١٤١٩ هـ / ٢٨-٣٠ يونيو ١٩٩٨ م.
- سرحات الصيد والتريض والنزهة لسلاطين دولة المماليك بمصر، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، العدد السابع عشر ١٩٩٩ م.
- أولاد الناس بمجتمع عصر سلاطين المماليك، كتاب نشر بدار الكتاب الجامعي القاهرة ١٢٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- خوندات العصر المملوكي، كتاب، نشر دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٢٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- الأيوبيون في كتابات كل من ابن الأثير وأبي شامة، كتاب نشر دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٢٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- نيابة دمشق في عصر دولة المماليك الجراكسة من ٨٠١/٨١٥ هـ - ١٣٩٨/١٤١٢ م، بحث في ندوة دمشق في التاريخ المنعقدة في جامعة دمشق من ٢٠: ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٦ م.
- القبائل العربية حول المدينة النبوية وعلاقتها بالمدينة في عصر النبوة، بحث مقدم للقاء العلمي العاشر للجمعية التاريخية السعودية، بعنوان منطقة المدينة المنورة عبر العصور، المدينة المنورة في الفترة من ١٤: ١٢/٥/١٤٢٨ هـ

امير البحر سلمان العثماني ومعه جماعة كبيرة من المماليك القراصنة وأولاد الناس وجماعة من العثمانية والمغاربة واعدت الحملة في نحو ألفي إنسان عام ٩٢١ هـ / ١٥١٥ م لحفظ السواحل من تعديات البرتغاليين.

ومن مشاركات أولاد الناس المتعددة في الأحداث الخارجية، خروجهم في ركب الحجيج بأوامر سلطانية لأداء بعض المهام التي يكلفون بأدائها في بلاد الحجاز. ففي عام ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م جاءت الأخبار بتمرد الأمير ثقبه أحد أمراء الحجاز على أخيه أمير مكة الشريف عجلان، فأصدر السلطان أوامره سراً إلى أمير الحج ومن في صحبته من الأمراء بالقبض على الشريف ثقبه وإقرار الشريف عجلان منفرداً على إمارة مكة، وكان من شارك من أولاد الناس في هذه المهمة الأمير شهاب الدين احمد بن آل ملك، والأمير ناصر الدين محمد بن بكتمر الساقي والأمير ركن الدين عمر بن طقزدمر.

ومن نافلة القول أن نذكر مشاركات الأمراء أولاد الناس في الأحداث الخارجية ولكن بشكل آخر مغاير لما ذكرنا آنفاً إلا وهي مشاركتهم على صعيد العلاقات الودية متمثلة في السفارات التي كانت ترسل من القاهرة إلى عواصم الممالك المجاورة، فبالبحث في المصادر الملوكية، وجدنا جملة من أولاد الناس ساهموا بجهد في هذا المضمار.

ففي عهد السلطان الأشرف شعبان عام ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م توجه الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير سُرْتَقْطاي برسالة من السلطان إلى السلطان أوبس ملك بغداد. واتجه أيضاً الشيخ الفقيه الحنفي احمد بن كندغدي سفيراً إلى تيمورلنك سلطان التتار من قبل السلطان الناصر فرج بن برقوق في أواخر عام ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م غير انه مرض وتوفي، وفي عهد الظاهر جقمق أرسل الأمير علاء الدين علي بن إينال " أحد خواص السلطان" من أولاد الناس إلى السلطان العثماني مراد بن عثمان عام ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩ م، وحمل معه هدية جلييلة من الظاهر إلى السلطان مراد، وقد صحب الأمير علاء الدين رسل السلطان مراد الذين قدموا القاهرة قبل ذلك فكانت سفارة الأمير احمد رداً على السفارة العثمانية.

وفي عهد السلطان الأشرف برسباي، خرج الأمير ناصر الدين محمد ابن إبراهيم بن منجك كذلك بهرسوم سلطاني للأمير سودون من عبد الرحمن نائب دمشق لاستدعائه للمثول بين يدي السلطان بالقاهرة، وعاد صحبة الأمير إبراهيم حتى دخلا القاهرة في عام ٨٣٥ هـ / ١٤٣١ م.

وفي حوادث عام ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م أرسل السلطان الظاهر جقمق خلعة الاستمرار في نيابة دمشق إلى الأمير إينال الجكمي نائب الشام وحملت هذه الخلعة على يد الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك، ويبدو من هذه الأخبار أن الأمير ناصر الدين محمد قد أرسل سفيراً أكثر من مرة وفي عهود مختلفة إلى نواب الشام من قبل عدة سلاطين.

وبعد فقد رأينا من خلال الصفحات السابقة مشاركة أولاد الناس في الحياة السياسية خلال العصر المملوكي، ومساهماتهم في كثير من معطيات هذه الحياة حتى أنهم وصلوا إلى مراتب سنية في الجيش المملوكي وتقدموا في الإمارات فبلغ منهم عدد لا بأس به إلى أمير مئة وتقدمة ألف ووصل العديد إلى مراكز طيبة في الوظائف، سواء وظائف أرباب السيوف أو الوظائف الديوانية وكذلك أدلوا بدلوهم في أحداث الدولة السياسية فكان لهم تواجدهم في الفتن والاضطرابات التي اشتهر